النَّوعُ الثالث والستُّون

في الآيات المشتبهات

أفرده بالتصنيف خلق، أولهم ـ فيما أحسب ـ الكِسائيّ، ونظمه السخاويُّ، وألَّف في توجيهه الكَرْمانيّ كتابَه: «**البرهان في متشابه القرآن**» وأحسن منه «**درّة التنزيل وغرَّة التأويل**» لأبي عبد الله الرَّازيّ، وأحسن من هذا: «**مِلاكُ التأويل**» لأبي جعفر بن الزبير، ولم أَقِفْ عليه، وللقاضي بدر الدين ابن جماعة في ذلك كتاب لطيف سمَّاه: «**كشف المعاني عن متشابه المثاني**». وفي كتابي أسرار التنزيل المسمى «**قطف الأزهار في كشف الأسرار**» من ذلك الجمُّ الغفير.

والقصد به: إيراد القصَّة الواحدة في صور شتَّى، وفواصل مختلفة، بل تأتي في موضع واحد مقدّماً، وفي آخر مؤخَّراً، كقوله في البقرة: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، وفي الأعراف ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ١٦١]، وفي البقرة: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وسائر القرآن: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣].

أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها، نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ في البقرة [٦]، وفي يس: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [١٠]، وفي البقرة: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [١٩٣]، وفي الأنفال: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [٣٩].

أو في موضع معرّفاً وفي آخر منكَّراً، أو مفرداً وفي آخر جمعاً، أو بحرف وفي آخر بحرفٍ آخرَ، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً. وهذا النوع يَتداخل مع نوع المناسبات.

وهذه أمثلة منه بتوجيهها:

* قوله تعالى في البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٢]، وفي لقمان: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ . . .﴾ [٣]؛ لأنه لمَّا ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب (المتقين). ولمَّا ذكر ثمَّ الرحمة ناسب (المحسنين).

* قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا﴾ [البقرة: ٣٥]، وفي الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾ [١٩] بالفاء، قيل: لأن السكنى في البقرة الإقامةُ، وفي الأعراف اتخاذُ المسكن، فلمَّا نسب القول إليه تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾ ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل، ولذا قال فيه: ﴿رَغَدًا﴾، وقال: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾؛ لأنه أعمّ. وفي الأعراف: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾، فأتى بالفاء الدالَّة على ترتيب الأكل على السُّكنى المأمور باتخاذها، لأن الأكل بعد الاتخاذ، و﴿مِّنْ حَيْثُ﴾ لا تعطي عموم معنى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

* قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقال بعد ذلك: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]؛ ففيه تقديم العدل وتأخيره، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى.

وذُكر في حكمته: أنَّ الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ راجع في الأُولى إلى النفس الأولى، وفي الثانية إلى النفس الثانية، فبيَّنَ في الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عَدْل، وقدمت الشفاعة لأنَّ الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها. وبيَّن في الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها، ولا تنْفعها شفاعة شافع منها، وقدَّم العَدْل؛ لأن الحاجة إلى الشفاعة إنَّما تكون عند ردِّه، ولذلك قال في الأولى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾، وفي الثانية: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾؛ لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع، وإنما تنفع المشفوع له.

* قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة: ٤٩]، وفي إبراهيم ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم: ٦]، بالواو؛ لأنَّ الأولى من كلامه تعالى لهم، فلم يعدِّد عليهم المِحَنَ تكرُّماً في الخطاب؛ والثانية من كلام موسى فعدَّدها. وفي الأعراف: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤١]. وهو من تنويع الألفاظ المسمَّى بالتفنّن.

* قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ . . .﴾ الآية [البقرة: ٥٨]، وفي آية الأعراف اختلاف ألفاظٍ [الأعراف: ١٦١]، ونكتته أن آية البقرة في معرض ذكر النعم عليهم حيث قال: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ [البقرة: ٤٧] إلى آخره، فناسب نسبة القول إليه تعالى، وناسب قوله: ﴿رَغَدًا﴾، لأن المنعم به أتمّ، وناسب تقديم ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨]، وناسب ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾؛ لأنه جمعُ كثرة، وناسب الواو في ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ لدلالتها على الجمع بينهما، وناسب الفاء في ﴿فَكُلُوا۟﴾؛ لأن الأكل مترتب على الدخول. وآية الأعراف افتتحت بما فيه توبيخهم، وهو قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ثم اتخاذهم العجل، فناسب ذلك: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ [الأعراف: ١٦١]. وناسب ترك ﴿رَغَدًا﴾. والسكنى تجامع الأكل فقال: ﴿وَكُلُوا۟﴾. وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا. وترك الواو في ﴿سَنَزِيدُ﴾. ولمَّا كان في الأعراف تبعيض الهادين بقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ناسب تبعيض الظالمين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. ولم يتقدَّم في البقرة مثله فترك. وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال أشدُّ وقعاً من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك، وختم آية البقرة بـ ﴿يَفْسُقُونَ﴾ [٥٩]، ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق، فناسب كل لفظة منها سياقه.

* وكذا في البقرة: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]، وفي الأعراف ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [١٦٠]، لأن الانفجار أبلغُ في كثرة الماء، فناسب سياقَ ذكر النعم التعبيرُ به.

* قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]. وفي آل عمران: ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [٢٤]. قال ابن جماعة: لأن قائل ذلك فرقتان من اليهود، **إحداهما** قالت: إنَّما نعذَّب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا، **والأخرى** قالت: إنما نعذب أربعين، عدة أيام عبادة آبائهم العجل. فآية البقرة تحتمل قصْدَ الفرقة الثانية حيث عبَّر بجمع الكثرة، وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: إنَّه من باب التفنن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وفي آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]؛ لأن الهدى في البقرة المراد به تحويل القبلة، وفي آل عمران المراد به الدِّين، لتقدُّم قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ومعناه: إن دين الله الإسلام.

* قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، وفي إبراهيم: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]؛ لأن الأول: دعا به قبل مصيره بلداً عند ترك هاجر وإسماعيل به، وهو وادٍ، فدعا بأن يصير بلداً. والثاني: دعا به بعد عوده وسكنى جُرْهم به، ومصيره بلداً، فدعا بأمنه.

* قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٧]، وفي آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: ٨٤]؛ لأن الأولى خطابٌ للمسلمين، والثانية خطاب للنبيّ ﷺ، و(إلى) يُنتهى بها من كل جهة، و(على) لا ينتهى بها إلَّا من جهة واحدة وهي العلوّ، والقرآن يأتي المسلمين من كلِّ جهة يأتي مبلِّغه إياهم منها، وإنما أَتَى النبيّ ﷺ من جهة العلوّ خاصة، فناسب قوله: ﴿عَلَيْنَا﴾. ولهذا أكثر ما جاء من جهة النبيّ ﷺ بـ: على، وأكثر ما جاء في جهة الأمة بـ: إلى.

* قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال بعد ذلك: ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ لأنَّ الأولى وردت بعد نواهٍ، فناسب النَّهي عن قربانها، والثانية بعد أوامر، فناسب النهي عن تعدِّيها وتجاوزها بأن يوقف عندها.

* قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٣]، وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]، لأنَّ الكتاب أنزل مُنَجّماً، فناسب الإتيان بـ ﴿نَزَّلَ﴾ الدالّ على التكرير، بخلافهما فإنَّهما أُنزلا دفعة.

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وفي الإسراء: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]؛ لأن الأولى خطاب للفقراء المقلِّين، أي: لا تقتلوهم من فقر بكم، فحسن: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ ما يزول به إملاقكم، ثم قال: ﴿وَإِيَّاهُمْ﴾، أي: نرزقكم جميعاً. والثانية خطاب للأغنياء؛ أي: خشية فقر يحصل لكم بسببهم، ولذا حسُن: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

* قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وفي فصلت: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]. قال ابن جماعة: لأنَّ آية الأعراف نَزَلت أوَّلاً، وآية فصِّلت نزلت ثانياً، فحسُن التعريف، أي هُوَ السَّميعُ العَليمُ الَّذي تقدَّم ذكره أوَّلاً عند نزوغ الشيطان.

* قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال في المؤمنين: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وفي الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]؛ لأنَّ المنافقين ليسوا متناصرين على دين معيّن وشريعة ظاهرة؛ فكان بعضهم يهوداً، وبعضهم مشركين، فقال: ﴿مِنۢ بَعْضٍ﴾، أي: في الشك والنفاق. والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام، وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون على التناصر، بخلاف المنافقين، كما قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

فهذه أمثلة يُستضاء بها، وقد تقدم منها كثير في نوع التقديم والتأخير، وفي نوع الفواصل، وفي أنواع أُخرَ.